مجلة المعيار ISSN :2588-2384
مجلد: 23 عدد: 45 السنة: 2019

الإنسان عند الصوفية
جلال الدين الرومي أنموذجا

نصر الدين بن سراي
جامعة لامين دباغين سطيف2
benserai20@gmail.com

تاريخ الوصول: **2017/06/26** القبول:.2019/01/02 / النشر على الخط:2019/01/05
Received :……l Accepted :……l Published online :……

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى إبراز الجوانب المهمة في تاريخ الفكر الأخلاقي والعرفاني الإسلامي، وكان نموذج هذا التصور هو العارف جلال الدين الرومي ، الذي تناول في مدونته أبعادا مهمة تتعلق ببناء الإنسان من خلال تلك الرؤية، حيث بيّن في مدونته الأخلاقية عن الجوانب التي يريد أن يتصف بها الإنسان الذي أراده؛ ذلك الإنسان الصالح الذي حيثما حل نفع، مركزا على أهمية البعد الجواني في صناعة الإنسان وتكوينه، حتى يبلغ دور الإنسانية التي يريدها، وهي إنسانية الإنسان .

الكلمات المفتاحية : الرومي، الإنسان، العرفان، الأخلاق، الروحاني .

The man in Sufism Jalal al-Din al-Rumi as a model

Summary:

This paper is for showing the important sides in moral islamique thought , Jalale Eddine Eromi was the epitome who had on his blog important dimensions about human built by that vision , and he shows on his ethical blog sides which human wants to have it who wanted , this good human where he goes he has a well zone , focusing about the important dimension environnement in making of humans , until he gets the humanity role that he wants , which is humanity of human .

Keywords: Rumi, Man, Sufism, Morals, Spirituality

مقدمة :

تهتم الفلسفات على اختلاف توجّهاتها الفكرية بمشكلة الإنسان ذلك أن الاهتمام بصناعة الإنسان وتشكيل تصوراته المعرفية حول العالم من شأنه المساهمة في حل مشكلات الوجود حسب

تراتبها. كما يُعد الإنسان من المقولات المركزية للعناصر المكونة للرؤية الكونية للعالم، التي من خلالها يسعى للتعاطي والتواصل مع جميع عناصر الوجود قيميا ومعرفيا ووجوديا .

تناولت الفلسفة الإسلامية لاسيما التراث الصوفي منها مشكلة الإنسان وحاولت مقاربته وفق معطى مستقى من روح الدين، مختلفا عن ما شكلته الحضارات العالمية اليوم، بعيدة عن الاستلاب والاغتراب الذي مارسته الحضارة المادية. وبحثا عن تصورات تمنح تكاملا بين أجزاء الإنسان الروحية والمادية والنفسية ، حاولنا في هذا المقال الكشف عن الجوانب المهمة لنظرية العرفاء حول الإنسان وكان الأنموذج الذي تم اختياره هو الصوفي الكبير جلال الدين الرومي من خلال كتابه المثنوي الذي تضمن خلاصة التجربة الروحية التي كانت مع شيخه شمس الدين التبريزي، وبما تحمله أفكار الرومي من بعد عالمي يسعى لتبليغه للإنسانية، مبرزين أهم الآثار الفكرية حول تصوره لمفهوم الإنسان.

لذا حاولنا في هذا المقال أن نبيّن كيف حاول العرفاء إصلاح ممكلة الإنسان ؟ وما هي الطرق التي انتهجوها للفت النظر إلى الجوهر الروحاني فيه ؟ وبأي معنى نتحدث عن الإنسان بشقيه الروحي والمادي؟ وكيف للعرفان أن يقدم لنا النظرة تكاملية في رؤية للإنسان ؟ ووفق أي تصور يحدد للإنسان معالمه الإنسانية، وآثاره وقيمته ووظيفته في هذا العالم، خاصة في ظل الأزمة الروحانية التي يشهدها العالم اليوم؟

1- الإنسان ذو جوهر روحاني في أصله:

تتمايز الموجودات وتتفاضل من جهة تكريم الصانع لها، ويتميز الروح الإنساني عن الحيواني، بكونه أن نفسه الناطقة قد أُلهمت الخير والشر، ومن هنا يسعى جلال الدين الرومي؛ ليحدثنا عن مملكة الإنسان بالإشارة إلى ذلك التميز، إذا يقول: "فالخيال القبيح هو الذي جعل العين الحسية وعين العقل المحتجبة تريانه قبيحا، واعلم أن هذه العين الظاهرة ظل لتلك العين المحتجبة، فكل ما تراه عين الباطن تدور حوله عين الظاهر، إنّك أيها الإنسان مكاني، ولكن أصلك في اللامكان، فلتغلق هذا الدّكان،

ولتفتح ذلك الدّكان، فلا تهرب إلى هذا العالم ذي الجهات الست، ففي هذه الجهات أسوأ مواقع أحجار النّرد، حيث تحق الهزيمة".[1]

ومن هذا المنطلق يؤكد أيضا محمد عبد السلام كفافي – شارحا ومعلقا على الكلام السابق– بقوله " الإنسان — في ظاهره– يبدو حسيا مقيدا بالمكان ولكنه بأصله الروحي ينتمي إلى اللامكان، فلو أنه قلص من سلطان الحس، فتنحت أمامه عوالم الروح الفساح، إن عليه أن يتخلص من هذا العالم الحسي لأنّه يفرض عليه موقفا سيئا يجعل الهزيمة حتما عليه. والجهات السّت يقصد بها الرومي العالم الحسي المقيد بـ: اليمين والشمال والأمام والوراء والفوقية والتحتية، ويشبه الشاعر الجهات الست بالأقسام الستة فوق لوحة النرد"[2]

من خلال لغة المثال والرمز يستطرد الرومي ليوضح لنا الأصل الحقيقي للإنسان في تلك الأمثولة الرمزية الممتازة، مستشهدا بنقل صفات الآثار الحسية التي تخص كل حيوان إلى وصف الإنسان من خلال تمظهر تلك الصفات الحيوانية في أخلاقه إذ يقول: "إنك سليل البط[3]، مع أن طائرا أليفا أظللك بجناحيه ورباك، لقد كانت أمك من بط البحار، وأما مربيك فكان ترابيا يعشق الجفاف، فذلك الميل إلى البحار الكامن في قلبك سوى طبيعة لروحك قبستها من أمك، وأما ميلك للجفاف فهو لمربيك فدعك من هذا المربي فإنه سيء الرأي... ومهما حذرتك أمك من الماء فلا تخف بل انطلق مسرعا نحو البحر، إنك من جنس البط تعيش فوق اليابس وفوق الماء، ولست كالطائر الأليف مأواك حفرة (في الثرى)، يقول الأستاذ محمد كفافي: في هذه الأبيات تمثيل رمزي للأصل الروحي للإنسان، والكيان المادي الذي يحجب عنه إدراك حقيقة هذا الأصل، وقد رمز الشاعر للعالم الروحي بالبحر، ولعالم الدنيا بالبر

[1] جلال الدين الرومي ،**المثنوي** ، ج2 ترجمة وشرح ودراسة الدكتور محمد عبد السلام كفافي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1967.

[2] المصدر نفسه، ص 428-429.

[3] عادة ما يشبه المتصوفة البط، ومشيته بخلق الكبر إشارة إلى أول معصية في الوجود، وهي معصية إبليس لما تكبر عند السجود، والكبر هو الأصل الأول للأخلاق الذميمة.

والإنسان طائر بحري، تربى في البر فنسى أصله، والرومي يدعو الإنسان إلى التسامي إلى أصله، بعد التعرف على حقيقة ذاته"[1].

هذه اللفتة مهمة جدا في واقعنا المعاصر بسبب طغيان المادية المجحفة وعصر الإنسان في جانبه المادي وإكباح لصوت الروح فيه، إذن الإنسان مهما يكن ترتيبه فهو جوهر روحاني، فلو تخلى عن هذا الجوهر فلا فرق بينه وبين باقي الموجودات الأخرى ،"فالدين يذهب إلى أن الحيوانية جانب من جوانب الإنسان ،وإنما يكمن الفرق في مدى شمولية هذا الجانب ،فطبقا للعلم :الإنسان ليس أكثر من حيوان ذكي، وطبقا للدين الإنسان حيوان مُنح شخصية ذاتية "[2] ولذلك يشير الله تعالى إلى هذا المعنى في رفع مقام الإنسان: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ سورة الإسراء/ 70 ، فالنزعة الروحية في الإنسان مصدرها أصله الرّوحي، أما النّزعة المادية ذلك العالم الحسي الذي غذاه وربى جسده. والإنسان في حقيقته قادر على الوصول إلى عالم الروح برغم ارتباطه الجسدي بعالم الحس، وفسّر الرّومي قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ سورة الإسراء/ 70، على أنّه رمز إلى أنّ الله كرّم الإنسان بأن جعله منتميا إلى عالمي " الروح والحسّ في وقت واحد، والجمع بين الروح والحسّ هو سرّ تفضيل الإنسان على كلّ من الملائكة، وهي كائنات روحية، والحيوانات وهي كائنات حسية، والأنبياء والرسل هم المثل العليا للكيان الإنساني وهؤلاء يعيشون في الأرض بهيكل ترابي وتدور أرواحهم في فلك روحي".[3]

2- قدر الإنسان قدرته ونصيبه:

من القضايا الكلامية التي شغلت بال المتكلمين وأفردت لها المؤلفات والمصنفات على اختلاف التوجّهات المذهبية الكلامية قضية القدر وعلاقته بالإنسان، إذ يقوم الرومي بعلاج هذه المشكلة ويحُلّ هذا اللغز الإنساني الذي تناطحت حوله آراء الفرق والملل في جمل بسيطة ويسيرة موضحا ذلك بمثال

[1] المصدر نفسه، ص 583-584.

[2] علي عزت بيجوفيتش ، **الإسلام بين الشرق والغرب** ،ترجمة يوسف عدس،دار النشر للجامعي ،مصر ،ط2 ،1997،ص50

[3] جلال الدين الرومي ،**المثنوي** ، ج2 ، ص 584-585.

يقول فيه: " أما من كان في بداية أمره وزيرا للملك فجعله محتسبا لا يكون إلا من سوء فعله، فحينما يدعوك الملك من عتبة الباب إلى حضرته ثم يعود فيدفعك إلى الباب، فاعلم يقينا أنّك ارتكبت جرما، وأنّك قد جعلت (هذا الإبعاد) – بجهلك – أمرا محتما. ((وإنك لتقول)): "إنّ هذا قد كان لي قسمة ونصيب"، فماذا إذن كان هذا الإقبال بالأمس في يدك؟، إنّك أنت الذي قطعت نصيبك، أمّا الرجل الكفء فهو الذي يضاعف نصيبه".[1]

في هذا الكلام تعبير عن قدرة الإنسان على تحديد مصيره بعمله، فيجب على المرء ألا يعزو ما يلحق به من سوء المصير إلى ما يسمى عادة "بالقسمة" أو "النصيب" بل عليه أن ينظر إلى عمله ويلتمس فيه تفسيرا لمصيره، ويؤيد معنى هذه الأبيات السابقة من كلام الرومي قول الله سبحانه: ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾[2] وهذا خلاف ما هو سائد في المخيال الاجتماعي في نسبة الفشل وكل قبيح إلى الله أو إلى المكتوب، وإن كنا لا نخالف ذلك بمفهوم التسليم لا بمفهوم الجبر والقهر والفرض وسلب الاختيار، سواء كان في الجانب العلمي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي وغيره من الجوانب المتعددة في الحياة، ثم يستطرد الرومي في شرح ذلك بعبارة رائعة: "إنك لترى قدرة نفسك عيانا في كلّ عمل يكون لك ميل إليه، ولكنّك عندما لا يكون العمل وفق ميلك وعلى مرادك تصبح مجبرا وتقول:إنّ هذا من عند الله"[3]، وهنا يسخر جلال الرمي من نفاق البشر وطيشهم " فالمرأ إذا عمل عملا يعجبه ويعتزّ به تباهى بقدرته وفاخر بما اقتدر على إنجازه، ولكنه إذا أتى أمرا نُكرا نسب ذلك إلى ربّه، واعتذر عن إتيانه بأنّ هذا هو ما أراده له الله"[4].

3- السبيل إلى تربية الإنسان:

[1] المصدر نفسه، ص 283.
[2] المصدر نفسه، ص 543.
[3] جلال الدين الرومي، **المثنوي** ، ترجمة وشرح ودراسة الدكتور عبد السلام كفافي، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ص 133.
[4] المصدر نفسه، ص 473.

يسلك جلال الدين الرومي طرقا بديعة ومختصرة في ذكر سبل التربية من خلال بيان عيوب النفس الشاملة لكلّ العيوب، وبيان الصفات القبيحة المشنّعة التي تجمع شتات القبيح من الأوصاف ذاكرا ذلك في قصة لطيفة، مشبّها تلك العيوب بالطيور، وهي عبارة عن رموز، في قراءة جديدة لروح القرآن تتناسب مع روحه عصره الذي عاش فيه قائلا : " أراد إبراهيم الخليل أن يبلغ أعلى مراتب اليقين فيما يتعلق بالمعاد فقال له الله تعالى: خذ أربعة من الطيور واذبحهن وأخلط لحومهن ببعضها بصورة جيدة، ثم قسّم ذلك الخليط عشرة أقسام، وضع كل قسم على قمّة جبل ثم ادعهنّ بإذني، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك، وأخذته الدهشة حين رأى تلك الطور الأربعة حيّة سالمة وهي تلتقط الحبّ هنا وهناك، وكانت تلك الطيور عبارة عن: البط والطاووس والغراب والديك، وهي ترمز إلى حرص الإنسان وتكبّره وطول أمله وشهرته بالترتيب، فلو جردت نفسك يا أخي من هذه الصفات الأربع الذميمة (**الحرص، الشهوة، التكبر، وطول الأمل**) سلكت طريق إبراهيم عليه السلام نحو الخلود الأبدي. إن التجرد منها لا يعني التجرد المطلق، طبعا بل ضرورة السيطرة عليها قدر المستطاع وأن خير الأمور أوسطها، وبعبارة أخرى يجب التعامل مع هذه الصفات الأربع بشكل آخر وتسخيرها بما فيها الخير والصلاح"[1].

وعند العرفاء يركزون دوما على مسألة الأنا باعتبارها أول عقبة تجاه الإنسان وهي رمز للأنا إبليس في بداية المعصية الأولى في الوجود، وهي تمثّل مرتبة النفس الأمارة بالسوء، ذلك أنّ الأنا سواء الفعلية أو الأنا المثالية هي عبارة عن جبل يحول بين الإنسان وخالقه، ولا يمكن أن يصل إلى السعادة وهو يطلبها وبين جوانبه لازلت أناه تحجبه عن الوصول، وكمثال عن ذلك في قصة موسى عليه السلام ،" فالاثنينية في مدلول الآية الشريفة بين موسى والربّ في مقام المخاطبة تدل على أن «الأنا» كانت ما تزال موجودة لدى موسى (عليه السلام)، ومعها لا يكون الانسان قادراً على تحمل التجلي التام، والعرفاء يذكرون أن المراد من الجبل في الآية ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني**﴾الأعراف/

[1] محمد المحمدي الشهراوي ، **قصص المثنوي** ، ج3، دار الحجة البيضاء، ط1، 11418هـ-1998م، ص 90-91.

143 هو جبل الأنانية، فلما تجلّى الله له جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً حيث حصل له التجلّي التام بعد زوال جبل الأنانية"[1].

5- مهمّة الإنسان في هذه الحياة:

للإنسان في هذا العالم وظيفة ومهمّة لابد له أن يقوم على أدائها، وهي أمانة موكلة له، وهو تزكية ذاته وتصفية نفسه، حتى يرتقي في مداج الإنسانية، وحتى تكتمل صورته لابد أن يصل إلى ذلك المدرَج، وليحقق كماله من حيث هو إنسان، وقد وضح هذا المعنى الباحث التركي جيهان أوقيوجو في قوله: "حسنا لنبدأ موضوعنا أولا بأهمية ترك العادات السيئة ولكني أريد قبل هذا أن أعرف ما هي غاية النضج؟ وما الذي يكسبه الإنسان بالنضج؟ لقد أرسل الإنسان إلى هذه الدنيا لكي يكون إنسانا حقيقيا، ومن نجح في هذا يكون قد نجح في أداء مهمته ، وبهذا النجاح يكسب الإنسان نفسه أولا، وكيف ذلك، لكي تعرف استمع إلى المثنوي: لم يمكن أن تهرب من نفسك: الذي يهرب من غيره يتوقف عندما يبتعد عنه ويتخلى عن الهروب، أما أنا فعدو نفسي وأود أيضا الهروب عنها قصد الجنة، ولكن عندما أهرب أصطحبها معي أيضا، أي إني لا أستطيع الهروب والتخلص منها مهما حاولت، لذا كان شغلي الشاغل هو الهروب دون توقف حتى يوم القيامة، فإن كان ظل الإنسان عدو له، فلن يذوق طعم الأمان لا في الهند ولا في هوتان، يا صاحب الفطرة السليمة ! سيأتي يوم تفقد فيه كل أموالك وأملاكك، أما إذا كنت أنت الكنز والمال والملك فلا زوال لهذا الكنز أبدا وبهذا الكلام الدقيق تكون مهمة الإنسان في هذه الحياة أن يبقى إنسانا ولا ينزل إلى مرتبة الأنعام أو أسفل من ذلك، فهناك كنز مخفي في ذواتنا، فليحفر كل واحد منا على كنزه ولا ينظر إلى ما يملك الآخر، بل فقط في ذاتك، وإلا ستظل الطريق ورأس العيوب هو رؤية العيوب"[2].

وحتى ترتكز هذه المعاني جيدا في النفس الإنسانية، يبيّن لنا جلال الدين الرومي أن رأس العيوب أيضا الانشغال بعيوب الآخرين وعدم الالتفات إلى الذات، هذا من شأنه أن يدع الإنسان بعيدا عن

[1] **أحمد القابنجي ، الله والإنسان، إشكالية العلاقة وأزمة الوجدان**، اعداد وتنظيم المؤسسة الاسلامية للتأليف والترجمة،ط2،ص14

[2] جيهان أو قيوجو، **مولانا جلال الدين الرومي** ، دار النيل، ط1، 2009، ترجمة أوخان محمد علي، ص 111-112.

النظر في مرآته الحقيقية وما تجلى فيها من عيوب لإصلاح ذاته، ويشرح هذا المعنى جلال الدين الرومي في نكتة بديعة ، فيقول "ذهب أربعة هنود إلى الجامع للصلاة، وفي هذه الأثناء دخل المؤذن إلى الجامع، فقال أحد الهنود ناسيا أنه في الصلاة: هل رفع الآذان؟ ... فوكزه الثاني قائلا: لقد تكلمت فسدت صلاتك. قال الهندي الثالث للثاني: يا مسكين، انشغل بصلاتك بدل الانشغال بصاحبك، ففرح الهندي الرابع وقال بصوت عال: الحمد لله، لم أفسد صلاتي مثلما فعل هؤلاء الحمقى وهكذا فسدت صلاتهم جميعا، وهذا وصف دقيق لحال النفوس التي تعرض عن عيوب ذاتها وتلتفت يمنة ويسرى لالتقاط عيوب الناس، فمهمتك أيها الإنسان النظر في ذاتك وتنقيتها من العيوب لتصبح وترحل من هذه الدار وأنت إنسان ولست مسخا"[1].

يركز الرّومي على أسلوب بديع في توصيل المعاني وتبليغها بأسمى معنى، وهذا الأسلوب هو التعليم بالرّمز والمثال والاستعارات، وتعد من طرائق التربية لدى العرفاء لتربية المريدين وتوجيههم، حيث نجده حاضرا بكثرة في مثنوي جلال الدين الرومي " فعلى الشيخ أن يغذي مريديه بلبن المعرفة أي أن يكون في مقدور المريد الاستغناء عنه، ولعل التعليم بالرمز والصور والإيحاءات أحد وسائل الشيوخ في تدريب المريد، وتوجيه مسيرة السالك الذي يجيب داعي الله نحو التدرج والانتقال، من الظاهر الحقيقي، ومن المرئي إلى غير المرئي، ومن الإشارة إلى المدلول...فإذا كان المتصوّفة يستخدمون التمثيلات والصور، فذلك لمساعدة الإنسان ذي القلب الهائم والعقل الضعيف على إدراك الحقيقة، فالحق كما يقول الرومي وصف نفسه بالظاهر والباطن، وقد تجلّى العالم بوصفه باطنا وظاهرا، بحيث نستطيع إدراك المظهر الداخلي للحقّ سبحانه بباطننا، والمظهر الخارجي بظاهرنا "[2].

6/ مراتب ودرجات الإنسان:

لن يكون الإنسان إنسانيا إلا بقدار نضج عقله وروحه، وكأن الإنسانية حالة روحية كونية يلزمنا من حيث كوننا بشرا تحقيق الوصول إليها، لنظفر بذلك الامتنان والتكريم الإلهي الذي اختص به الإله

[1] مرجع سابق ، الصفحة نفسها .

[2] أحمد حسين ،**جلال الدين الرومي والتصوف**، مجلة التراث العربي سوريا عدد98 سنة 1 لوليو 2003،ص 196

بني آدم وفضّلهم به تفردا عن باقي الموجودات، " إذن فهناك درجات في الإنسان يرى جلال الرومي أن الطفولة واليفاعة لا يتعلّقان بالسنّ بل بدرجة النضج، فالذين يجرون خلف أهواء طفولية يعدون أطفالا مهما بلغوا من العمر، يقول: لا يستحق صفة النضج إلا سكارى الحق الذين سموا على أهواء الدنيا، أما الذين غلبوا على أمرهم بأهواء طفولية غير مقبولة فيبقون أطفالا مهما جرى الزمن "[1].

عند العرفاء ليس المرض هو مرض الذي يعتري البدن وليس العلاج هو علاج البدن بقدر ما هو علاج للحلمة الصنوبرية التي في أعلى الصدر من جانبه الأيسر،" إذ يقول هؤلاء الأطباء لمرضاهم نحن أطباء لم نأخذ بعلومنا من كتب الطب بل من الحق سبحانه وتعالى، فالأطباء الآخرون يعالجون مرضى الأبدان، أما نحن فنعالج مرضى القلوب ومرضى الأرواح ثمّ إنّنا لا نطلب ثمنا أو أجرة كما يطلب بها أطباء الأبدان، لأن الله تعالى سيعطينا أجرنا مضاعفا، إذن تعالوا أيها المرضى البائسون، تعالوا ...فدواؤكم موجود عندنا، إذن هناك أطفال واليافعون والمرضى والأطباء...أما التصنيف الآخر هو درجة المعرفة والعقل، أليس كذلك؟. أجل ففي هذه الرحلة الطويلة والمظلمة لا ينير طريق الإنسان سوى نور العقل، أما العقول فتختلف بعضها عن البعض بكثير، إن العقول تصطف درجات نحو السماء حسب طاقتها وسعتها"[2].

وعلى الرغم من وجود فروق بين البشر إلا أن العرفاء يقسمون الناس "بحسب نور العقل إلى ثلاث مجموعات رئيسية: **العقلاء، ونصف العقلاء، والبلهاء**، فعلامة العقلاء أنهم ينارون بنورهم الداخلي، فهم بهذا النور ينيرون أنفسهم تارة ويقومون بإرشاد قافلة تارة أخرى، هذا العقل الذي لا محل للشك والريبة فيه هو عقل المؤمن الكامل، أما علامة نصف العقلاء فإنهم لا يملكون نورا ولكنهم يملكون بصيرة ما تكفيهم لإتباعهم الآخر، واتخاذ عينه عينا لهم، وأمثال هؤلاء – وإن لم يستطيعوا الرؤية النفاذة – يعرفون كيفية الاستفادة من رؤية غيرهم"[3].

[1] جيهان أوقيوجو، مرجع سابق، ص 90-91.

[2] جيهان أوقيوجو، مرجع نفسه الصفحة نفسها .

[3] المرجع السابق ،ص 92.

أما الصنف الثالث من الناس بحسب ترتيب السابق " فهم البلهاء الذين لا يملكون ذرّة عقل ولا يستفيدون من غيرهم، لذا فهم يعيشون في ظلمة حالكة عمياء، يحاولون قطع الصحاري الواسعة وهم يتعرّجون ويتجوّلون هنا وهناك دون جدوى، أنظر إن آلاف الجنود الذين يملأون الصحاري هم تحت إمرة قائد واحد، ولكن قد يكون هذا القائد أيضا أسير فكرة سخيفة، فما بالك إذن بمدى خدمتهم وطاعتهم لفكرة قيمة وسامية عالية؟ [1] .

هذا ما يجب في الحقيقة، ولكن الأمور لا تسير هكذا في جميع الأحوال، ويشرح الرومي هذا فيقول: " إذا ربط طائران حيان ببعضهما، لم يستطيعا الطيران مع أنهما يملكان أربعة أجنحة، وإذا كان أحدهما ميتا والآخر حيّا استطاع الطائر الحيّ حمل الميّت والطيران به، أما المغرور بعقله فكيف يستطيع شخص آخر أن يطير به؟. المرشدون العظام مانحون الرحمة والشفقة لمن حولهم، وهم يشبهون الرعاة الذين يصونون قطعانهم ويحافظون عليها، أما الذين لا يسلمون أمورهم إلى شفقة هؤلاء المرشدين ورحمتهم، فيرمون أنفسهم إلى التهلكة أولا ثم يتعبون ويرهقون هؤلاء المرشدين الذين يركضون وراءهم لإرشادهم إلى الصواب"[2].

ربّما يتجلّى لنا من خلال هذا العرض الفرق بين الفلسفات الأخلاقية والمنظومة الأخلاقية العرفانية ؛ذلك أن الفلسفة الأخلاقية تبتغي ترويض الإنسان لتصنع منه مواطنا صالحا، في حدود بيئته الجغرافية، لا فردا صالحا في العالم، وهو نموذج الإنسان الذي يأتمر بأوامر الواجب الأخلاقي الذي يرصده في شكل قوانين، وصلاحيته تكمن في الامتثال لهذا الواجب،كما كان واجب الجندي الألماني في تلبية واجبه في الحرب العالمية الثانية، أمّا النظرية الأخلاقية العرفانية فهي تطلب مدرج الإنسان الكامل الذي يكون حيثما وقع نفع، وهو أن يكون مسالما مع جميع عناصر الوجود حتى مع الجماد الذي يرى من خلاله تجلٍ لصفات الموجِد، " فالغاية من العرفان الإسلامي هي التعرف إلى ربّ العالمين والوقوف على غرضه الهادف من خلق الإنسان وأن يعرف ما هي مهام الإنسان أمام الله والناس وما عليه أن يؤديه في ضوء

[1] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

[2]المرجع نفسه الصفحة نفسها.

هداية الأنبياء والكتب السماوية في حياته الفكرية والعملية حتى يرقى المدارج السامية المستكملة وحينئذ لا يرى إلا الله، عارفا أنّ الخطوة الأولى في هذا المسير هي التعرّف إلى النفس كما جاء في الأثر:"من عرف نفسه عرف ربه"[1].

7-معيار التحقّق ومعراج التوفّق في الفعل الأخلاقي:

كنا قد أشرنا من قبل إلى خطورة الأنا المثالية التي تتغذى على الرغبات، والأنا الفعلية التي تشعر بالنقص لاستكمال ذاتها، هذا النقص ينبجس لها من خلال عمليات المقارنة والأقيسة التي تجريها بين الذوات الآخرين فينشأ من خلال ذلك التصوّر الأول لميلاد أفعال الشرّ عن طريق الشعور بالنقص كأن " يرى ويصف نفسه بالقصور وعدم اللياقة والنقص، وينسب ما يمر به من خبرات غير سارة إلى عوامل شخصية فيه كالقصور النفسي أو العقلي أو أنه قاصر اجتماعيا "[2].

إن رأس تلك الأمراض هو الشعور بالنقص والحقارة ومنه تتحول تلك المركبات إلى صفحة الحسد التي هي الصفة الأم التي تتوالد عنها كلّ الصفات القبيحة، بعد أن يحدّد العرفاء تلك المثالب القاتلة في عالم النفس، لابد لهم من يجدوا لها العلاج، ولذلك فأول الطريق هو الرجوع إلى الله، أعني إلى ذكره فإنّ الأنا وأيّ علاج غير الذكر فسيكون مآله الفشل ولا جدوى منه، فالسلاح الوحيد مع النفس الأمّارة هو شغلها بذكر خاص هو " لا إله إلا الله "، منه يبدأ العارف في بدايات العلاج، ويعتبر هذا الترياق مبدأ إصلاح النفوس، فلو حاول في غيره أن تكون له النُجْحَة، اعتبارا لقول الحق ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ سورة الكهف الآية: 28.

فذكر لا إله إلا الله يدلّ على أنّه " لا توجد حقيقة إلا حقيقة واحدة، فكلمة الرسول تشير إلى نزول الله نحو العالم، وتتضمن أيضا صعود الإنسان في اتجاه نحو الله ...في فلك الصغير الإنساني النزول

---

[1] حسين رزمجو، **التصوف والعرفان من منظار جلال الدين الرومي المولوي** ،مجلة الأداب العالمية عدد127 سنة يوليو 2006 سوريا،ص 104.

[2] عبد الستار ابراهيم ،**الإكتئاب**، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة عدد 239،نوفبر1998،ص 24.

هو الوحي والصعود هو الطموح؛ النزول هو النعمة الإلهية، بينما الصعود هو المجهود الإنساني ومحتواه هو ذكر الله، من حيث اسم ذكر الله المعطى للرسول "[1].

فالإصلاح مبدؤه القلب ذلك أن الترياق السابق رمز دال على الإيمان والقلب مثل المرآة " والصفة المطلوبة في المرآة هي تشبّعها بالإيمان، ولكي تعكس الصورة تماما، يجب أن يكون سطحها صقيلا جدا، يقول الرومي:"قلبي صاف كالسماء، وفي مرآة الماء، ينعكس ضياء القمر، ويشبه التأثير الذي تتركه الذنوب في القلب، بالتراكم البطيء للصدأ على المعادن، أما المجاهدات فتشبه بفعلها الصقل ،والقلب الطاهر المصفى من حب الدنيا ومباهجها، في مقدوره أن يتذكر الله ويبقى معه، مما يعطي للوجود بعدا آخر، ويعطي للحياة غاية أساسية هي الحنين إلى الحالة الروحية الأولى وبلوغ المعرفة الحقيقية والكلية "[2].

إن العرفاء قد حدّدوا تلك المراحل التي لابد للعارف الحقيقي أن يمرّ بها ،ذلك أن العارف الحق هو الذي قد وصل إلى " تهذيب النفس وتصفية الباطن مرورا بطريق الكشف والشهود، وهي العبادة وطاعة أوامر الله بعون العشق والتوفيقات الإلهية طبقا لقابليته وقدرة فهمه ومجاوزة المراحل الصعبة المليئة بالمخاطر، وهذا هو طريق السلوك إلى الله الذي يقول عارف الطريق فريد الدين العطار النيسابوري المتوفى سنة618هـ إنه يشمل على سبع مراتب، هي الطلب والعشق والمعرفة والاستغناء والتوحيد والفقر والفناء، وهكذا يصل الإنسان الكامل إلى المنزلة المعنوية السامية"[3].

من هنا يتحول الإنسان في تصور العرفاء بعد السير إلى تعديل السلوك، الذي سينطلق من الوجدان ويتغذى على وقود العشق والمحبة لأنها أصله، ذلك أن الإرادة إذا لم تنطلق من الحب والعشق فتتعرض إلى الزوال، وشاهد ذلك في المحبين وأفعالهم فهذا مجنون ليلى الذي يقول :

[1] مارتين لينجز،**الساعة الحدية عشر ، الأزمة الروحانية للعالم الحديث**،ترجمة توفيق محفوظ،أشرف شنودة،آفاق للنشر والتوزيع ،ط1، 2012،ص104

[2] أحمد حسين، مرجع سابق ، 196

[3] حسين رزمجو، مرجع سابق ،ص 104

ولو قيل للمجنون: ليلى وَوَصْلَها *** تريدُ أم الدنيا وما في طَوَاياها؟
لقال: غُبارٌ مِنْ تُرابِ نِعَالها *** أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها

فهذا مجنون ليلى لم تفن إرادته بطلب الوصال من محبوبه الفاني إلى أن أصابه البلى، فكذلك العارف إذا انطلق من فعله من قلبه بدافع العشق والحب والقرب الذي يتحقق له شيئا فشيئا بمداومة ترياق ذكر المحبوب شرط ان لا ينقطع على ذلك الترياق كما قال ابن عطاء الله السكندري :" لا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضورِكَ مَعَ اللهِ فيهِ، لِأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجودِ ذِكْرِهِ أَشَدُّ مِنْ غَفْلَتِكَ في وُجودِ ذِكْرِهِ. فَعَسى أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ غَفْلَةٍ إلى ذِكْرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ، وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ يَقَظَةٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ، وَمِنْ ذِكرٍ مَعَ وُجودِ حُضورٍ إلى ذِكرٍ مَعَ وُجودِ غَيْبَةٍ عَمّا سِوَى المذْكورِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ"[1] .

كما أن الفعل الوجداني يتميز بخصائص أهمها " هو أن تكون الغاية فيه أداء التكليف فقط بعيداً عن المصلحة الشخصية، أي لا يدور في إطار فائدة الأنا، بل فائدته تصبّ خارج دائرة الأنا تماماً، سواء كانت فائدة دنيوية أو أخروية، والذي يشخّص لنا هذا المعنى هو حاجة الطرف الآخر، وهذه الحاجة تثير في أنفسنا شعوراً بالتكليف، فنتحرك باتجاه خدمة الآخرين من منطلق التكليف الوجداني لا لشيء آخر وغاية أخرى وراء أداء هذا التكليف."[2]

ومن هنا فإن الغرائز الحيوانية المودعة في الإنسان من شأنها أن تتحول " وتصادق أشواق الروح وحنينها إلى عالمها العلوي، فتترجمها وتسخّرها لحسابها، وتوجّهها نشيدا غريزيا هابطا إلى الصور والأشكال والأهواء"[3].

8- جلال الدين الرومي في تراث فلاسفة الشرق والغرب:

[1] محمد حياة السندي المدني ،**شرح الحكم العطائية** ،تحقيق نزار حمادي ،بيروت لبنان ،دار المعارف،ط1، 2010، ص 39
[2] أحمد القابنجي ،مرجع سابق ، 64.
[3] محمد سعيد رمضان البوطي ،**شخصيات استوقفتني** ،دار الفكر المعاصر دمشق سوريا ،ط6، 2006،ص137

1/ الرّومي ملهما ومرشدا كاملا للفيلسوف إقبال:

لقد تاثر محمد إقبال بالرومي تأثرا شديدا فهو أستاذه ومرشده الروحي، على الرغم أن الزمان بينهما قرون متواصلة، لكنّ إقبال يذكر أنّ شعره قد ألهمه به الرومي، حيث رآه مناما وقال له قل، فأصبح يقول شعرا منذ تلك الرؤية القلبية التي جمعته مع الأستاذ وقد ذكر هذه القصة في ديوانه الشعري حيث يقول:

" رأيت الشّيخ بالمصباح يسعى*** له في كل ناحية مجال
يقول: مللت أنعاما وبهما *** وإنسانا أريد، فهل يُنال؟
برمت برفقة خارت قواها*** برستم أو بحيدر اندمال
قلنا: ذا مُحال.قد بحثنا *** فقال: ومُنيتي هذا المحال" [1]

وقال أيضا :

" قارئا من فيض ذا الشيخ العظيم*** كُتبا تُضمر أسرار العلوم
قلبه من شعلة الوجد استعر *** وأنـا في نفـــس منه شـرر
قد رمى الشمع فراشي باللهب*** وعزت جامي الحُميا فالتهب
صيّر الروّمي طيني جوهرا *** مـن غُبـاري شـــاد كـونا آخـر" [2]

وفي إتّخاذ نموذج الرومي لدى إقبال ما يبرّره، حيث " يمقت إقبال نموذج التصوف الذي دعا إليه حافظ الشيرازي ويشعر بتقدير كبير للعبقرية النقدية والعميقة لجلال الرومي، ومن ثمّ فهو يرفض مذهب نفي الذّات الذي دعا إليه هذا الصوفي العظيم كما لا يتابعه في آرائه الخاصة بوحدة الوجود؛ أي أن الرومي كان من دعاة مذهب وحدة الوجود غير أن إقبالا لم يتابعه في ذلك"[3]، فإقبال يعتبر مهذّبا للتصوف الرومي، وموظّفا هذا التوجه الروحي العميق بما يخدم، الفكر والذات معا، مركزا على طور

[1] محمد إقبال ،**ديوان إقبال** ، إعداد سعد عبد الماجد الغوري، بيروت لبنان، دار بن كثير، ط1،2007، ج1، ص 125
[2] المرجع نفسه، ص 130
[3] محمد إقبال، **رسالة الخلود أو جاويد نامة**، ترجمة محمد السعيد جمال الدين،

العشق، وما يقد يلعبه هذا التوجّه النيّر في تحرير العقل الذي أقصى ما يبلغه هو طور الحكمة العقلية النظرية، أما العشق فمجاله أرحب وأوسع لتعلقه بالمطلق المتعالي عن الحس، إذ يقول إقبال: " أيها العقل كن غلاما للعشق تابعا له منفعلا به، أيها العشق إن منيتي أن تتحدث إلى بما يؤجج نارك في قلبي"[1].

2/المستشرقة الألمانية آن ماري شميل (Anne marie Schimmel):

اشتغلت الباحثة آن ماري شميل زهاء أربعين عاما على أعمال الرومي، وكان بحثها حول الرومي في موسوعة تحت عنوان "الشمس المنتصرة" الذي ترجم في زهاء ثمان مائة صفحة، وقد تناولت مسألة الإنسان، ورؤية الروّمي له، باعتبار أنّه الكائن الوحيد الذي كلف بحمل الأمانة " "صرت حمّالا لتلك الأمانة التي لم تقبلها السّماء، اعتماداً على عونٍ سيأتيني من لطفك" رغم أنّ السماء والأرض تؤديان كثيرا من الأعمال المدهشة، لم يقل الحق ولقد كرّمنا السّماء والأرض، وقد وضع الحق تعالى ثمنا عظيما للإنسان... وقد غدا الإنسان، بهذه الأمانة سواء أُفسِّرت بأنّها العشق، أم حرّية الإرادة- الجزء الأكثر نفاسة وقيمة من الخلق، والذي لا ينبغي أن يُساء إليه، ذلك أنّ الحق سيشتري نفسه، أخيرا ، ليأتي بها إلى أسمى القمم الرّوحية"[2]، هذه الأمانة التي تتمثل أساسا، في تعليم الإنسان سرّ الأسماء، وتعتبر، " أعظم هدّية وهبها الله للإنسان أنّه "علّمه الأسماء" البقرة /31- وكثيرا ما أشار الرومي إلى هذا الفعل الرائع من أفعال الرّحمة الذي أعطى للإنسان المنزلة العليا في الكون وجعله أميرَ علم الأسماء، وهكذا كان في حوزته آلاف العلوم في كلّ عرق، والأسماء التي علّمه إيّاها الحقُّ أولا لم تكن الأسماء الخارجيّة في لباس العين واللام، أي لباس الأحرف المكتوبة والمنطوقة، بل تلك التي ليست مغطاة بغطاء الأحرف الخارجية؛

[1] المرجع نفسه ، 73

[2] أنا ماري شميل ، **الشّمس المنتصرة** ، ترجمة عيسى على العاكوب، ط1، طهران إيران، مؤسسة الطباعة والنشر، وزراة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1421، ص 414

فقد كانت الحكمة التي كانت على اللّوح المحفوظ، وهكذا غدا الإنسان حقاّ أسمى من الملائكة، حتى من أولئك الذين يحملون عرش ربّك"[1].

وتستطرد آن ماري شميل في شرح هذه القضية التي تعتبرها أهم وظيفة خطيرة للإنسان مستشهدة بأمثلة من القرآن الكريم حيث تقول:" فإنّ معرفة اسم الشيء تعني امتلاك القدرة عليه، والتصرّف فيه: وهكذا فإن الحق بجعل الإنسان قادراً على دعوة كلّ شيء باسمه، إنّما جعَلَه الحاكمَ الحقيقي للأرض وما فيها. وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الإنسان بعد هبوطه لا يعرف إلا جزءا من الأسماء والسّر والخفي وراءها لا يعرفه إلاّ الله: سمّى موسى عوده المعجز باسم عصا، ولكن الحق عرف أنّ اسمه ثعبان وعمر، رغم أنه كون آدم عارفاً سرّ الأسماء، فإنّ الإنسان في حاله الراهنة يستطيع تسمية الأجزاء المرئية للشيء فقط وبقدر ما يمكن أن تكشف الأسماء الطبيعة الصحيحة للشخص، ويمكنها أن تفيد أيضا في ستر السِر وإخفائه: قصّة زليخا التي عنت بآلاف الأسماء ذاتا واحدة فقط، أي معشوقها يوسف، مثال رائع للخاصّية السّاترة للأسماء التي يصنعها الإنسان"[2].

وقد تم ترتيب العلاقة بين الله والإنسان، وقد "واختير الإنسان، بسبب صلته الخاصّة بالحق، عندما كانت إنسانية المستقبل ما تزال مخفيّة في صلب آدم الذي لّما يُخلق، بالخطاب الإلهي:"ألست بربكم؟" الأعراف /172، أجيال المستقبل أجابت "بلى شهدنا"، ومنذ ذلك اليوم، يوم الميثاق الأوّل- نمت وعاشت تحت سلطان هذا الخطاب الإلهيّ"[3].

إذن فوظيفة الإنسان أن يعرف نفسه، وقدر ذاته؛ لأنه بمعرفته لها، سيعرف الحق تماما، إذ " لو تذّكر الإنسان فقط أنّ الله خلقه" في أحسن تقويم" التين/4، بل وفقا لحديث مشهور على صورته (سبحانه)، إذ نفخ فيه من روحه مزوّدا بهذه الخاصيّيات، لغدا الإنسان أسطرلاب الصّفات الإلهية

[1] المرجع نفسه ، ص 415
[2] المرجع السابق ، ص 415
[3] المرجع نفسه ،ص 415

السامية، عاكسا الصّفات الإلهية كما يعكس الماء القمر؛ إذ تنفذ عليه أعمال القدرة الكلية وتغدو مرئية؛ ويقدّم قرص هذا الأسطرلاب دائما أنباءً عن عظمة الحقّ، شرط أن يعرف الإنسان كيف يقرأ ويفسّر حاله وموقفه، وآدم في صورته الخارجية قد يسمّى عالما أصغر a microcosm أمّا في معناه الباطن فإنّه عالم أكبر a macrocosm."[1]

9/ التكامل الأخلاقي في مدوّنة الرّومي:

نجد في المدونة العرفانية لجلال الدين الرومي، منهجا للتكامل المعرفي الأخلاقي من خلال ما حاول جلال الرومي توظيفه في كتابه المثنوي، من الأمثلة والقصص اليونانية، خاصة في جانبها الأخلاقي، بعد أن ضمّها إلى المجال التداولي الإسلامي، وبعد أن حذف تلك الإحالات والإيحاءات الميتافيزيقة الوثنية الإغريقية، جاعلا منها أكثر دلالة في تهذيب النفس وإصلاح الذات الإنسانية؛ أي فلسفة أخلاقية إنسانية بكل ما قد تعنيه هذه الكلمة، فقد" وجّه الرومي دعوته إلى الفرد ناصحا له أن ينهمك في محاولة دائبة لاكتشاف ذاته، من أجل الوصول إلى إصلاح النفس، ثم صياغتها، بحسب المثل العليا التي آمن الرومي بها، هذه المثل تقوم أساسا على النواحي الإيجابية في جميع الأديان، لا سيما الإسلام والمسيحية، لكنّه لا يكتفي بالتعاليم الدينية المذكورة، وإنما نجد في المثنوي تأثيرا شديدا بالأفكار والفلسفات الإغريقية والهيلينية، من مثل الفيثاغورية والأورفية، ثم الأبيقيورية، والرواقية، وبالطبع الأفلاطونية الجديدة"[2].

10- الأبعاد الروحانية العرفانية في الفكر الفلسفي المعاصر:

بعد عودة الديني في الغرب، كان خيار بعض المفكرين الغربيين الاهتمام بالتراث العرفاني الإسلامي اكتشفوا حقيقة الاسلام وبعده الروحاني – الذي عمل المستشرقون على تزييفه ونقله بصورة

[1] المرجع نفسه، ص 421

[2] إحسان الملائكة، **جلال الدين الرومي صائغ النفوس**،ط1،دار البيضاء المغرب ، 2016،ص 201

خاطئة- حيث أرادوا توظيف ذلك البعد في عملية إصلاح العالم، حيث بدأت توجّهات الكثير من المفكرين إلى هذا الزخم التراثي، وقد برز من هؤلاء، طائفة كبيرة منهم نذكر بالأخص المفكر الفرنسي إيريك يونس جوفروا، خاصة في كتابه "المستقبل الروحاني للإسلام"، الذي شق فيه دربا ونفسا طويلا في أهمية الجانب الرّوحاني للإسلام في علاج أزمات العالمية التي دشّنتها الحداثة الغربية، عن طريق ما سمّاه الإنسان الكامل، إذ يقول: " وحده الإنسان الكامل الذي تمّ تكوينه وفقا لنظام روحاني والذي يراه المسلمون وحده في النبي، وحده هذا الإنسان يكمل القدر النبيل يتمثل في شيء واحد: أن يكون خليفة الله على الأرض...إن النزعة الإنسانية الإسلامية تتجسد في أخلاق تضع الإنسان أو الفرد في علاقة ديناميكية بين الحرية والمسؤولية "[1].

كما أن هذه الحكمة الروحانية لا يمكن أن تأخذ بآراء بعض المفكرين، الذين دعوا إلى النزعة الإنسانية، التي تحمل الزّيف بين لبّتيها، خاصة مع المفكر محمد أركون، ذلك " مشروع محمد أركون الهادف إلى بلورة نزعة إنسانية، إسلامية مرتكزة في نهاية المطاف على عقل التنوير، يبدو لنا لهذا السبب شيئا ضروريا ولكنه غير كاف، لماذا نقول غير كاف أن هذا العقل كشف عن جوانبه المؤذية الضارة، والضالة المنحرفة داخل التاريخ الأوروبي طيلة القرنين الماضيين، وبالتالي فوحده العقل الموسع عن طريق العلوي أو الفوقي هو وحده القادر على تقديم حلول للمستقبل"[2]، فعن طريق الرؤية العرفانية الروحانية يمكن لنا أن نجد المشترك الإنساني الذي من خلاله تقليص الهوة الفارقة بين الإنسانية: أي بعد الرجوع إلى ما هو إنساني في الذات الإنسانية وهو صوت الروح والضمير .

خاتمة :

وفي ختام القول تجدر الإشارة إلى ضرورة بناء وتجديد مفاهيمنا الفكرية، حول مفهوم الإنسان لدى متصوفة الإسلام لما احتوته مناظيرهم الفكرية من سعة الوعي في إصلاح مملكة الإنسان انطلاقا من

[1] إريك يونس جوفروا، **المستقبل الروحاني للإسلام**،ترجمة هاشم صالح، المركز القومي للترجمة،ط1، 2016،ص 64 ،65

[2] المرجع السابق ،ص 65، 66

عالمه الجواني، والذي ينحو به إلى إصلاح عالمه البراني السلوكي، ذلك أنّ الأخلاق ماهي إلا ثمرة ما وقر في الباطن النفسي للإنسان.

فالنظريات التربوية الأخلاقية لدى المتصوفة يمكن لها أن تتلاقى في كثير من مبادئها، مع الفلسفات الأخلاقية الشرقية، وبعض التصورات الأخلاقية لدى الديانات التوحيدية، كالمستيسيزم في المسيحية الذي تؤكّد لنا على ضرورة أن يتجه الإنسان إلى باطنه لمباشرة إصلاح ذاته، ووفق هذا التصور يمكن أن نجعل من الخطاب الصوفي، خطابا كونيا إنسانيا، أي بمعنى آخر أن الخطاب الصوفي ينشد إنسانا كونيا.

ومنه فالإنسان الذي ترومه الفلسفة الروحانية – أقصد الرؤية العرفانية– هو الإنسان الكامل، إذ إنها فلسفة تضع الانسان في مركز المشروع الإلهي، بمعنى تهتم بالله والانسان معا ، فهي لا تضع الانسان في مركز المشروع الانساني المقطوع عن التعالي الروحاني، أما الانسان الكامل العالمي فهو الذي تمّ تكوينه وفق نظام روحاني.

وعليه فالعقل الموسّع عن طريق العقل العلوي، وعن طريقه فقط يمكن خلق مستقبل ذي وجه إنساني. فهو يحن إلى أصله الأول الذي أوجده من العدم، إنه الله، بهذا المعنى يشير الرومي إلى تشبيه الإنسان في شوقه للمفارق– الإله– بالناي فهو لا يشدو إلا الصوت الحزين، لأنّه غريب عن عالم الجماد بالنفخة الرّوحية.

وبقي أن نشير إلى أنّ نراهن على العرفان باعتباره رهانا إتيقيا جديدا، يمكنه أن يساهم في علاج حالة الاغتراب والتأزم التي تحياها الإنسانية في العصر الحديث، ولكن بعد أن ينزل كنظرية أخلاقية فعّالة في الواقع، خاصة وأنه قد شابه كثير من الغموض والتخوّف لدى كثير من الناس لعدم وضوح العبارات التي تنقل كما هي من عند العرفاء، فإنّ ذلك لا يمنع أن نشير إليه كمجال نظري في علم الأخلاق الذي لابد أن يطرق بابه .

قائمة المصادر والمراجع :

أ: المصادر:

جلال الدين الرومي ،**المثنوي** ، ترجمة وشرح ودراسة الدكتور محمد عبد السلام كفافي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1967. ج1،ج2.

ب: المراجع :

1 -آنا ماري شميل ، **الشّمس المنتصرة** ، ترجمة عيسى على العاكوب، ط1، طهران إيران، مؤسسة الطباعة والنشر، وزراة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1421.

2 -إحسان الملائكة، **جلال الدين الرومي صائغ النفوس**،ط1، دار البيضاء المغرب ، 2016.

3 -إريك يونس جوفروا، **المستقبل الروحاني للإسلام**،ترجمة هاشم صالح، ط1،مصر ، المركز القومي للترجمة،ط1، 2016.

4 -أحمد حسين ،**جلال الدين الرومي والتصوف**، مجلة التراث العربي سوريا عدد98 سنة 1 لوليو 2003.

5 -أحمد القابنجي ، **الله والإنسان، إشكالية العلاقة وأزمة الوجدان** ط2.، اعداد وتنظيم المؤسسة الاسلامية للتأليف والترجمة.

6 - جيهان أو قيوجو، **مولانا جلال الدين الرومي** ، ط1، مصر، دار النيل ، ترجمة أوخان محمد علي، 2009.

7 -حسين رزمجو، **التصوف والعرفان من منظار جلال الدين الرومي المولوي** ،مجلة الأداب العالمية عدد127 سنة يوليو 2006 سوريا.

8 -علي عزت بيجوفيتش ، **الإسلام بين الشرق والغرب** ،ترجمة يوسف عدس ، ط2 ، مصر دار النشر للجامعت ،1997.

9- عبد الستار ابراهيم ،**الإكتئاب**، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة عدد 239،نوفبر1998.

10- مارتين لينجز،**الساعة الحدية عشر ، الأزمة الروحانية للعالم الحديث**،ترجمة توفيق محفوظ،أشرف شنودة، ط1 ، مصر ،آفاق للنشر والتوزيع ، 2012.

11- محمد المحمدي الشهراوي ، **قصص المثنوي** ، ، ط1دار المحجة البيضاء، ، 1418هـ-1998م. ج3

12- محمد حياة السندي المدني ،**شرح الحكم العطائية** ،تحقيق نزار حمادي، ط1،بيروت لبنان ،دار المعارف، 2010.

13- محمد سعيد رمضان البوطي ،**شخصيات استوقفتني** ، ط 6 ،دمشق سوريا ، دار الفكر المعاصر ، 2006.

14- محمد إقبال ،**ديوان إقبال** ، إعداد سعد عبد الماجد الغوري، ط1،بيروت لبنان، دار بن كثير،2007، ج1.

15- محمد إقبال، **رسالة الخلود أو جاويد نامة**، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، مصر ،مكتبة الشروق الدولية ،2007